وجاء تلغراف الى البرنس توفيق بتعيينه خديويًا على مصر

فرأى اسمعيل باشا حينئذٍ ان الامر قد قضي فبعث الى ابنه وسلم السلطة اليه امام نظار حكومته . وفي الساعة السادسة ونصف من ذلك اليوم عينه (قبيل المغرب) أُطلقت المدافع من القلعة اعلامًا بتنصيب البرنس توفيق خديويًا على القطر المصري واستقبل سموهُ فيها استقبالاً رسميًا حضرهُ ممثلو الدول ونظار الحكومة وكبار الموظفين وجمهور كبير من الاهالي

وفي الثلاثين من يونيو قبل الظهر بنصف ساعة خرج اسمعيل باشا من القاهرة قاصدًا الاسكندرية وكان قد اظهر انهُ لا يريد ان يكون وداعهُ رسميًا فلم يحضر احد من وكلاء الدول لوداعهِ ولكن حضر كثيرون من غيرهم . ولما ودَّع الخديوي توفيق اباهُ واخوتهُ لم تبقَ عين لم تدمع . ولما وصل اسمعيل باشا الى الاسكندرية نزل في يخته الخروسة ونزل لوداعهِ كثيرون من الموظفين والنزلاء الاوربيين فصافح الجميع وباسطهم في الكلام فابدوا لهُ عواطف الحب والاحترام

قيدار وممالك حاصور

استلفات نظر اصحاب الانسكلوبيديات ومعاجم الكتاب

في اثناء بحثي عن اصل الانباط في البتراء راجعت ما كتب في سفر ارميا النبي عن غزوات نبوخذنصر (او بختنصر) وهي كتابة يعتمد عليها لان النبيَّ كان من معاصري نبوخذنصر ومن ثمَّ فالوارد عنهُ في سفره هو من اصح واثبت ما جاء عن هذا الملك لا يدانيهِ في الصحة شيءٌ الاَّ ما ورد في الاجرّ البابلي مما كتبهُ بختنصر نفسهُ او احد معاصريهِ فوجدت ان من جملة الامم التي حاربها بختنصر القيداريين وممالك حاصور . اما القيداريون فمن وصفهم لا يشك محقق انهُ يعني بهم العرب العدنانيون في الحجاز وشمالي العربية . واما ممالك حاصور فلا يزال فيها رأي لباحث

راجعت الانسكلوبيديا البريطانية فلم ارَ فيها ادنى اشارة الى هذه الممالك ومثلها الانسكلوبيديا الاميركانية فتلت دعني انظر في تفسير الكتاب للعلاَّمة بونار وهو من احدث كتب التفاسير ومن اشهرها فنظرت فلم اجد فيهِ ما يشفي فانقلبت الى معاجم الكتاب فراجعت احدثها عهدًا واشهرها فلم ارَ فيها ما يزيد عما في غيرها مما اطلعت عليهِ . الاَّ ان العلاَّمة

هيستن في معجمه المشهور المطبوع سنة ١٨٩٨ — ١٩٠٢ اشار الى رأي العلامة كونور فقال في آخر ما ذكره عن لفظ حاصور نقلاً عن العلامة الموفى اليه انها مكان غير معروف في بلاد العرب يذكر مع قيدار وان نبوخذنصر حارب اهلها. والاشارة في غاية الاختصار لا تزيد عن السطرين وقد ذكرت مستنداً على ما بقي في ذهني لاترجمتها الحرفية فمن شاء فليراجع معجم هذا العلامة في باب حاصور

كان في ذهني من قبل ان بلاد اليمن من جملة البلدان التي حاربها نبوخذنصر فحدست ان ممالك حاصور هذه هي بلاد اليمن او قسم منها لان اشارة ارميا النبي — انهزموا انهزموا جداً تعمقوا في السكن يا سكان حاصور الخ — لا تنطبق على حاصور مدينة بابين بقرب بحيرة الحولة فانقلبت الى كتب التاريخ العربية ابحث عما يقوم دليلاً على صحة ما حدستهُ فراجعت العلامة ابن خلدون والمسعودي فرأيتهما في حروب نبوخذنصر في بلاد العرب يقرنان ذكر بني حضورا بالعرب العدنانيين كما يقرن ارميا النبي ممالك حاصور بالقيداريين والمستنتج من ذلك لا يكاد يشك بهِ على ما ارى اي ان بني حضورا وممالك حاصور هما اسمان لمسمًّى واحد كما ان قيدار والعرب العدنانيين اسمان ايضاً ومسمى واحد ولاسيما اذا اعتبرت المشابهة اللفظية الواضحة بين حاصور وحضور. فبقي عليَّ تحقيق موقع حضورا وحضورا في اي نقطة هو من البلاد العربية

فقلت اراجع الهمداني صاحب وصف جزيرة العرب فلعلهُ يذكر شيئاً عن ذلك فراجعتهُ فاذا بهِ يذكر ما أحبُّ ان يذكرهُ. واليك النقول الآتية عن كلٍّ من هؤلاء الائمة الاعلام

عن العلامة ابن خلدون

قال هذا العلامة في الجزء الثاني من تاريخهِ المشهور طبعة بولاق صفحة ٦٠ ويختصر هذا الذي غزا العرب وقاتلهم واستباحهم. قال هشام بن محمد اوحى الله الى ارميا النبي يأمر بختنصر ان يفرّق العرب الذين لا اخلاق لبيوتهم ويشيعهم بالقتل. قال فرتب بختنصر على من وجدهُ ببلادهِ من العرب لطيرة فحسبهم وقادى بالغزو وجاءت منهم طوائف مستسلمين فقبلهم وانزلهم بالانبار والحيرة. وقال غير هشام ان بختنصر غزا العرب بالجزيرة وما بين ايلة والابلة وملأها عليهم خيلاً ورجالاً ولقيهُ بنو غسان فهزمهم الى حضورا واستلحمهم اجمعين. وقال وجد ٢٣٧ من الجزء المذكور. يقال في بغداد كونهم هناك ان بختنصر لما سلطهُ الله على العرب — قتل اهل الوبر بناحية عدن اليمن نبيهم شعيب بن ذي مهدم — فاوحى الله الى ارميا بن حزقيا وبرخيا ان يسيرا بختنصر الى العرب الذين لا اخلاق لبيوتهم وان يقتل

ولا يستحي ويستحمهم جميعين ولا يبقي منهم اثرًا — وصار الى العرب وقد نضم ما بين ايلة والابلة خيلاً ورجلاً وتسامع العرب باقطار جزيرتهم واجتمعوا لقتاله فهزم عدنان اولاً ثم استلحم الباقين ورجع الى بابل وجمع السبايا فازلمهم بالابار ثم خالطهم بعد ذلك انبطة

وقال ايضاً وجه ٢٣٩ من الجزء المار ذكره · وغزا بختنصر العرب واستلحمهم وهلك عدنان وبقيت بلاد العرب خرابًا. قال السهيلي وكان رجوع معد الى الحجاز بعد ما دفع الله بأسهُ عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت بالشراعق الى محالاتهم بعد ان دوّخ بختنصر بلادهم وخرب معمورهم واستأصل حضورا واهل الرس التي كانت مطوة الله بالعرب من اجلهم

وقال وجه ٢٤٣ من الجزء المذكور · ومن كعب بن زيد الجمهور ويلقب كعب الظلم ابناه سبإ الاصغر بن كعب واليه ينتمي نسب ملوكهم التبابعة ومن زيد الجمهور بنو حضور بن عدي بن مالك بن زيد وقد مرّ ذكرهم ونقول اليمن ان منهم كان شعيب بن ذي مهدم النبي الذي قتلهُ قومهُ فنزاهم بختنصر فقتلهم · وقيل هو حضور بن قحطان الذي اسمهُ في التوراة يقطان ومنهم ايضاً بنو ميتم وبنو احالة ابني سعد بن عوف بن عدي بن مالك اخي ذي رعين وعوف هذا اخو حضور واخوهُ احاظة وميتم بنو حراز بن سعد

عن العلامة المسعودي

وقال العلامة المسعودي في كتابهِ مروج الذهب الجزء الاول وجه ٢٣٦ وكانت (اي بنو حضورا) امةً عظيمة ذات بطش وشدّة فغلبت على كثير من الارض والممالك وقد تنازع الناس فيهم فمنهم من الحقهم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سميتا ومنهم من رأى انهم من ولد يافث بن نوح وقيل في نسابهم غير ما ذكر من الوجوه · وقد كان بعث الله عزّ وجل اليهم شعيب بن ذي مهدم بن حضورا نبيًّا ناهيًا عما كانوا عليهِ وهذا غير شعيب بن نوفل ولما بعث الى حضورا واشتدّ كفرهم جدّ نبيهم شعيب بن ذي مهدم في دعائهم وخوّفهم وتوعّدهم فقتلوهُ فارجى الله الى نبيٍّ كان في عصرهِ وهو يرخيا وكان من سبط يهوذا — ان يأتي بختنصر وكان بالشام — فيأمرهُ ان يغزو العرب الذين لا اخلاق لبيوتهم فلما اتى يرخيا ذلك الملك قال لهُ الملك صدقت لي مع ليالٍ أومر في نومي بما ذكرت والذي بعثك اليّ وأبشّر ويقال لي ما امرتني بهِ وانا انتصر للنبي المقتول المظلوم. فسار اليهم في جنودهِ وغشي ديارهم في عساكرهِ وصاح بهم صائح من السماء وقد استعدوا لحربهِ من حيث عمّ الصوت جميعهم · فلما سمعوا ذلك علموا ان الامر قد نزل بهم فانفضّت جنودهم وتفرّقت جموعهم وولّت كتائبهم واخذهم السيف فحصدوا اجمعين

عن العلامة الهمداني

جاء لهذا العلامة في كتابهِ وصف جزيرة العرب طبع ليدن سنة ٨٨٤ وجه ١٠٦ ما نصهُ قال

مخلاف حضور وهو حضور بن عدي بن مالك من ولد شعيب النبي بن مهدم بن ذي مهدم بن المقدّم بن حضور عليهِ السلام وهو الذي قتلهُ قومهُ ويقال قتلهُ اهل حضورى وعربايا وكان بُعث اليهم . فسافلة حضور بناغ وشمّ وماضع وصالح والاغيوم وبرّيش ومنهم يحزا وعلسان فهذه سافلة حضور . وبحضور العيد وهم يتهمدنون ويقال انهم من حمير وهم غير صيد همدان . وعالية حضور واضع والمطل وحقل سهمان . انتهى

نرى مما ذكرهُ الهمداني صراحةً ان هذا المخلاف هو في منتصف بلاد اليمن على مقربة من صنعاء وانهُ نُسب الى حضور بن عدي بن مالك وابن خلدون يصرّح ان حضور هو من نسل زيد الجمهور الذي ينتمي اليهِ نسب التبابعة وعليهِ فبنو حضورا كانوا التبابعة في ايام نبوخذنصر وكان لهم ملك اليمن وتهامة معًا. وهذا مما تناسبهُ عبارة المسعودي — اي انهم كانوا امة ذات بطش وشدة وقد غلبت على كثير من الممالك

ثم اذا صدّقنا قول اهل اليمن عن انفسهم في تواريخهم او تقاليدهم علينا ان شعيب بن ذي مهدم كان من امراء آل حضور فان هذه الاضافة — اي ذي مهدم — تشعر بذلك ولها نظائر عندهم كذي الكلاع وذي يزن وذي نحر الخ فانها كلها اسماء امكنة أُضيف اليها كما صرّح المسعودي بذلك . وشبيه بها عبارة مؤرخي المولدين في قولهم مثلاً صاحب صور وصاحب طرابلس وصاحب الشوبك وصاحب صيجر وامثال ذلك كثيرة ولعلهم اتبعوا اصطلاح من سبقهم انما ابدلوا ذي بصاحبها اعني صاحب . وعليهِ فمهدم اسم البلد التي كان ابوهُ اميرًا عليها . والمهدم ولا شك يراد بها مدينة المعجم الحالية وهي من امهات مدن تهامة اما المشابهة اللفظية فواضحة فان الجيم والدال يقرب لفظ أحدهما من الاخر بل كثيرون لا يلفظون الجيم الاّ دالاً فاذا قلت لهم قولوا معجم قالوا مهدم . واما المشابهة في الصفة فان ابن خلدون يقول كما نقلنا عنهُ ان اهل الوبر في ناحية عدن اليمن قتلوا نبيهم شعيب ابن ذي مهدم واهل تهامة كانوا ولا يزالون لحد هذه الساعة اهل وبر والمعجم من امهات مدنهم وربما كانت ايضاً عاصمتهم في ذلك الحين فالوصف الذي ذكرهُ ابن خلدون ينطبق عليها

دعنا الآن نذكر محصل ما جاء عن نبوخذنصر في سفري ارميا وحزقيال وسفر الملوك الثاني اما النبيان فكانا معاصرين لنبوخذنصر واما صاحب سفر الملوك فكان بعدهُ بقليل

وربما حاصره مدة على الراجح . ثم نحلل ما جاء عنهُ في تواريخ العرب وتقاليدهم على ما رأيت في النقول التي نقلنا وبعد ذلك نظر في مقابلة الخصلين احدهما بصاحبهِ فان في الواحد ما يُفسّر بعض ما في الاخر من الابهام كما سنرى : —

في اواخر ملك يوشيا ملك يهوذا صعد فرعون نخو بجيوشهِ يقصد كركيش على الفرات شمالي حلب فاعترضهُ يوشيا ملك يهوذا في بقعة مجدو فاصابهُ الرماة بسهم فجرح جرحاً مميتاً ونقلهُ عبيدهُ من المركبة التي كان يحارب فيها متكرّاً الى مركبتهِ الثانية ورجعوا بهِ الى اورشليم فمات هناك ودفن في قبور آبائهِ وملّك اليهود ابنهُ يهواحاز بدلاً منهُ . الاّ ان فرعون نخو عاد من كركيش بعد ثلاثة اشهر ومرّ باورشليم فعزل يهواحاز واخذهُ اسيراً الى مصر ونصب مكانهُ اخاهُ الياقيم بعد ان ضمن لهُ ما غرّم بهِ الارض من وزنات الفضة والذهب وسماهُ يهوياقيم

وبعد اربع سنوات من موت يوشيا كانت موقعة كركيش التقت فيها جيوش نبوخذنصر بجيوش المصريين فكانت حرباً هائلة دارت فيها الدائرة على جيوش نخو وفاز البابليون على المصريين فوزاً كبيراً فارتد هولاء الى بلادهم مهزومين وتعقبهم نبوخذنصر حتى جاء الى اورشليم فلم يكن من يهوياقيم ادنى مقاومة فقيّدهُ نبوخذنصر ليذهب بهِ الى بابل الاّ انهُ عاد فاستبقاهُ عاملاً لهُ وما زال يهوياقيم عبداً لنبوخذنصر ثلاث سنوات ثم عصى عليهِ وعاد الى موالاة المصريين الى ان مات في السنة الحادية عشرة من ملكهِ وملّك ابنهُ يهوياكين بدلاً منهُ

وفي اواخر ملك يهوياقيم جاءت جيوش البابليين الى اليهودية وبعد ثلاثة اشهر من ملك يهوياكين شدد نبوخذنصر الحصار على اورشليم فلم يعد يهوياكين يقوى على المدافعة فاستسلم هو وامهُ وعبيدهُ ورؤساؤهُ وخصيانهُ لنبوخذنصر فاخذهم الى بابل وسبى معهم بضعة الاف من اقوياء الارض واصحاب البأس فيها فضلاً عن الابطال اهل الحرب وفضلاً عن الصناع من النجارين والحدادين

ولم يذكر في سفر ارميا ولا في سفر حزقيال ولا في سفر الملوك ما السبب في عصيان يهوياقيم على ملك بابل بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنوات . على ان ارميا النبي يشير الى امم القبائل العربية ددان وتيما وبوز وكل ملوك العرب وكل ملوك الغريب الساكنين في البرية وكل ملوك زمري وان هذه الامم كلها كانت عند موقعة كركيش او بعدها بقليل حرباً لنبوخذنصر ومن جملتهم قيدار وممالك حاصور وان نبوخذنصر كان يُعد لحرب هولاء عن آخرهم . وهذه عبارتهُ في شأن ممالك حاصور قال " اهربوا انهزموا جداً تعمقوا في السكن ياسكان حاصور يقول الرب لان نبوخذنصر ملك بابل قد اشار عليكم مشورة وفكّر عليكم فكراً "

وجاء في سفر الملوك انهُ لما عصى يهوياقيم على نبوخذنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين ارسل الرب عليهِ غزاة الكلدانيين وغزاة الاراميين والموآبيين والعمونيين ولم يذكر نبوخذنصر ولا جيوشهُ حينئذٍ وانما ذكره في ابتداء ملك يهوياكين فلماذا لم يأتِ نبوخذنصر او على الاقل لماذا لم يرسل جيوشهُ لحرب من عصى عليهِ بعد ان واثقهُ على الطاعة ولماذا اخّر غزوهُ والاقتصاص منهُ اربع سنوات تقريباً. ثم لما تحرّك نبوخذنصر وسار بجيوشهِ على اورشليم يقول صاحب سفر الملوك هذه العبارة يعترض بها اعتراضاً — "ولم يعد ملك مصر يخرج من ارضهِ لان ملك بابل اخذ من نهر مصر الى نهر الفرات كل ما كان لملك مصر" كل هذا مما يحتاج الى تفسير ولا يفسرهُ الا حروب ملك بابل في حاصور على ما ارى فلنتقدم اذن لذكر محصّل ما يفهم من النقول التي نقلناها آنفاً عن ابن خلدون والمسعودي والهمداني

يتحصل منها ان بني حضورا وهم ممالك حاصور كانوا ملوك اليمن في ذلك الحين وان عاصمتهم كانت صنعاء او مدينة اخرى بقرب صنعاء ولها مدينة حاز في مخلاف سحور فان الهمداني يذكر انها مدينة قديمة وفيها آثار جاهلية وكانت تهامة تابعة لهم. ويتحصل ايضاً ان شعيب نبيّ بني حضورا وابن صاحب المعجم كان من اشياع نبوخذنصر وحكمهُ في قومهِ كحكم ارميا في اليهود فلما قتلهُ قومهُ من اذل الوبر في تهامة استنجد اهلهُ او حزبهُ بنبوخذنصر وكان حينئذٍ في اليهودية وجهاتها يفكر في غزو العرب وبلاد اليمن ليلحقها بالملاكم كما فعل من سبقهُ من ملوك اشور وقوادها العظام فسار اليهم ليثأر منهم بدم النبيّ المقتول. وكان مسيرهُ بعد ان مرّ باورشليم في الرابعة من ملك يهوياقيم. وهنا نقول انهُ لاقى من الصعوبات في غزو هذه البلاد اشدّ مما لقيهُ الرومان في اوائل التاريخ المسيحي في ايام اوكتافيوس قيصر ذلك لان هؤلاء لم يحتاجوا الى قطع الصحراء الشمالية لانهم صاروا بالسفن من مصر حتى بلغوا الحوراء فنزلوا عليها ومن هناك دخلوا تهامة واليمن واما هو فاضطرّ الى قطع الصحراء ومحاربة العدنانيين او قيدار اولاً وبعد ان استلحمهم استمرّ على غزوتهِ حتى بلغهم الى تهامة وحضورا. وعليهِ فقد لاقى من المشقات اضعاف ما لاقاهُ الرومان ولاسيما ان المصريين كانوا عليهِ لامعهُ ومن اشدّ خصومهِ ايضاً ولا يبعد انهم انجدوا اهل حضورا وامدّوهم بالمال والرجال. ولا يبعد ايضاً بل هو مما يجوز لنا ترجيحهُ ان قد ترجمت عليهِ غلبة او غلبات احياناً فأشيع خبر انقلابهِ في سوريا وفلسطين اشاع ذلك خصومهُ المصريون فارتد بذلك كثيرون من الشعوب عن طاعتهِ ومن جملتهم اليهود. وهذا ما يفسر لنا سبب عصيان يهوياقيم على نبوخذنصر بعد ان استعبد لهُ ثلاث سنين على ضعف سياستهِ وتفرّق قلوب اهل

مملكته عنهُ . ويفسر لنا ايضاً ما جاء بهِ صاحب سفر الملوك من انهُ لما عاد يهوياقيم فتمرد على بختنصر ارسل عليهِ الرب غزاة الكلدانيين والاراميين ولم يقل جيش الكلدانيين ولا بختنصر ملكهم لانهُ لم يكن حينئذٍ يستطيع ان يحضر بنفسهِ ولا ان يرسل اليهم جانباً كبيراً من جنودهِ لانهُ كان منهمكاً بحروبهِ في اليمن وتهامة وكانت الحرب شديدة لا تؤذن لهُ ان يوجه جيشاً كبيراً منظماً ليقتص من اليهود فارسل من ثمَّ شراذم غزاةً فالتفَّ عليهم قوم من الاراميين والموابيين والعمونيين اعداء اليهود وكان من همّ هؤلاء الغزاة مضايقة اليهود واعنائهم بالغزو على اطراف بلادهم وقطع السابلة على تجارهم وقوافلهم الى ان يكون فرغ بختنصر من حرب العرب . ومما يستوجب الفكرة أنْ لم يكن بين هؤلاء الغزاة على يهوياقيم احد من الادوميين ولعلَّ ضلعهم كان مع اليمنيين على بختنصر كما كان ضلع من خلفهم من الانباط مع اهل اليمن على الرومانيين

وقد استمرَّت هذه الحرب على ما يظهر نحواً من ثلاث سنين خرج منها بختنصر مظفَّراً غالباً ودانت لهُ عند نهايتها البلاد كلها من نهر مصر الى نهر الفرات وفرغ حينئذٍ لحرب اليهود فلم يلبث ان استسلم اليهِ يهوياكين ملكهم بعد ثلاثة اشهر من الحصار كما ذكرنا

هذا ما خطر لي في التحقيق عن ممالك حاصور ولا اشكُّ ان من يقابل كما قابلت ويراجع ما راجعتهُ يتبين لهُ كما تبين لي وخلاصتهُ ان قيدار هم العرب العدنانيون وان ممالك حاصور هم بنو حضورا تابعة اليمن في ذلك الحين وان حروب بختنصر معهم استمرَّت نحواً من اربع سنوات من السنة السابعة ليهوياقيم الى السنة الحادية عشرة من ملكهِ وهي السنة التي مات فيها . ويظهر لهُ ايضاً ان التبابعة بني حضورا كانوا منقسمين الى حزبين حزب مع المصريين وآخر وهو حزب شعيب بن ذي مهدم مع البابليين وان هذا الانقسام والتحزُّب لنبوخذنصر هو الذي مكَّن هذا الملك البابلي من اجتياح بلادهم وايقاعهِ بهم حتى كاد يفنيهم مما لم يسبق للملك قبلهُ ولم يأتِ مثلهُ لمن بعدهُ . وقد بقي خبر هذه الغزوة لشدتها محفوظاً في تقاليد اليمن لحد هذه الساعة دون غيرها من غزوات المصريين والاشوريين والرومانيين . ومما يؤيد صحة هذه الغزوة على ما ذكرنا ايضاً وجود الانباط وهم سكان بابل في حقل جهران وحقل قتاب في قلب اليمن قال الشاعر على لسان احد التبابعة

فسكنتُ العراق خير قومي وسكنت النبيط قرى قتاب

انظر الهمداني وصف جزيرة العرب وجه ١٠٤ . وفوق كل ذي علم عليم

بيروت المدرسة الكلية جبر ضومط